فجر الهدى والإيمان

حريث بن زيد الخير وأخوه عروة

أطفال حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم



إعداد الدكتور
محمد حسني مصطفى

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م

عنوان الدار

سُورِيَة ـ حَلَبْ ـ خَلفَ الفُنْدُقِ السِّيَاحِي

شارع هدى الشِعْرَاويْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٠٢١،٢١٢٣٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

حُريث بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي

شاعر نشأ في أواخر عصر الجاهلية ، وبداية البعثة النبوية ، ووفَد على النبيّ صلى ا لله وعليه وسلم هو وأخٌ له اسمه مُكْنِف ، فأسلما ، وبعث النبي صلى ا لله وعليه وسلم حُريثاً في رسالة إلى أهل أيلة ، وشهد قتال أهل الرّدّة مع سيف ا لله خالد بن الوليد رضي ا لله عنه .

ويعدّ حريثٌ من شعراء الحماسة ، من الصَّحابة ، وعاش إلى أيام مصعب بن زبير ، وقتله مبارزة في حرب بها عبيد ا لله بن الحرّ الجُعْفي ، بحدود سنة ٦٥هـ .

خبر عبيد الله بن الحرّ

كان عبيد ا لله بن الحرّ من بني سعد العشيرة ، وكان قائداً من الشُّجْعان ، الأبطال ، ومن خيار قومه فضلاً وشرفاً وصلاحاً ، وكان من أصحاب عثمان بن عفّان رضي ا لله عنه ، فلمّا قُتل عثمان انحاز إلى معاوية ، فشهد معه صِفّين ، وأقام معه إلى أن قُتِلَ عليّ ، فرحلَ إلى الكوفة ، فلمّا كانت فاجعةُ الحسين رضي ا لله عنه تغيب ولم يشهد الوقعة ، فسألَ عنه ابن زياد (أمير الكوفة)فجاءه بعد أيـاّم ، فعاتبه على تغيّبه ،واتّهمه بأنه كان

يقاتل مع الحسين ، فقال : لو كنتْ معه لرُئيَ مكاني . ثم خرج فطلبه ، ابن زياد ، فامتنع بمكان على شاطىء الفرات ، والتفّ حوله جمع ، ولماّ قدم مصعب بن الزبير قصده عبيد ا لله ، بمن معه ، وصحبه في حرب المختار الثقفي ، ثم خاف مصعب أن ينقلب عليه عبيد ا لله ، فحبسه ، ثم أطلقه بعد أيّام بشفاعة رجال من مذحج ، فحقد عليه ، وخرج مغاضباً ، فوجّه إليه مصعب رجالاً يراودونه على الطّاعة ويعدونه بالولاية ، وأخرين يقاتلونه ، فردّ أولئك وهزم هؤلاء . واشتدّتْ عزيمته ، وكان معه ثلاثمئة مقاتل ، فامتلك تكريت ، وأغار على الكوفة ، وأعيا مصعباً أمره ، ثم تفرّق عنه جَمْعُهُ بعد معركة ، وخاف أنْ يُؤْسر ، فألقى نفسه في الفرات فمات غريقاً سنة ٦٨ هـ . وكان شاعراً فحلاً .

تورّط حريث في قتل مبعوث عمر رضي الله عنه

بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه رجلاً يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البوادي ، فمن لم يقرأ ضربه ، فاستقرأ أوس بن خالد الطائي فلم يقرأ ، فزعموا أن أبا سفيان ضربه أسواطاً ، فمات منْها ، فجعلتْ أمّه تندبه ، فأقبل حريث بن زيد الخيل الطائي ، فشدّ على أبي سفيان فقتله ، وقال في ذلك أبياتاً منها :

فلا تجزعي يـا أمّ أوسٍ فإنّـه | يلاقي المنايا كلُّ حافٍ وذي نَعْلِ
فإن يقتلوا أوساً عزيزاً فإنّني | قتلْتُ أبا سفيان مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ

وشك خير الدين الزِّرِكْلي في صُنْع حريث ، وأبياته .

زيد الخيل بن مهلهل

هو زيد بن مهلهل بن مُنْهِب الطَّائي ، كنيته أبو مُكْنِف ، من أبطال الجاهليّة ، لقب زيد الخيل لكثرة خيله ، أو لكثرة طراده بها . كان طويلاًجسيماً ، من أجمل الناس ، وكان شاعراً مُحْسناً ، وخطيباً لَسِناً ، موصوفاً بالكرم . وله مهاجاة مع كعب بن زهير .

وقد أدرك الإسلام ، ووفد على النبيّ صلى ا لله وعليه وسلم سنة تسع للهجرة ، في وفْد طيّيء ، فأسلم ، وسُرَّ به رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، وسمَّاه زيد الخير ، وقال له : يازيد ، ما وَصِفَ لي أحد في الجاهلية فرأيتهُ في الإسلام إلا رأيته دون ما وُصف لي ، غيرك . وأقطعه أرضاً بنجد ، فمكث في المدينة سبعة أيام ، وأصابتْه حُمّى شديدة فخرج عائداً إلى نجد ، فنزل على ماء يقال له " فردة " فمات هنالك .

وللمفجَّع البصري كتاب " غريب شعر زيد الخيل " وجمع الدكتور نوري حمودي القيسي ما بقي من شعر زيد الخير في ديوان .

رثاء حريث لأوس

قال ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء لدى ترجمته لزيد الخيل :

".. وكان له ابنان ، يقال لهما مُكْنِفُ وحُرَيْث ، أسلما وصحبا النبي صلى ا لله عليه وسلم ، وشهدا قتالَ الردَّة مع خالد بن الوليد رضي ا لله عنهم ، وحمَّادٌ الراوية مولى مكْنف .

وحريث هوالذي يقول يرثي أوس بن خالد ، وقتل في الحرب :

ألا بَكَرَ الناعي بأوس بن خالد ... أخي الشَّتْوَةِ الغبراء والزمن المحْلِ[1]

فلا تجزعي يا أم أوس فإنَّه ... تصيب المنايا كلَّ حافٍ وذي نعلِ[2]

فإنْ تقتلوا بالغدْرِ أوساً فإنّني ... تركْتُ أبا سفيانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ [3]

قتلْنا بقتلانا من القومِ عُصْبةً ... كراماً ، ولم نأكلْ بهم حشفَ النَّخْلِ [4]

ولولا الأسى ماعشتُ في النَّاس ساعةً ... ولكنْ إذا ما شئْت ساعدني مِثْلِي

---

[1] بَكَرَ : غدا .الناعي : الذي حمل خبر مصرع أوس .أوس بن خالد الطائي : ابن عمّ لزيدالخيل ، عَرض عليه أبوسفيان ، مبعوث عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه إلى البادية ، ليعلمّ أهلها القرآن ، فرفض أوس أن يقرأ ، فضربه أبو سفيان بالسَّوْط ، فقيل إن أوساً مات من الضّرْب . الشَّتْوة : الشتاء . الغبراء : الجدباء ، ليس فيها خير ولا نبات .

[2] الجزع : الحزن ، الخوف .

[3] أبو سفيان : موظّف قرشي بعث به عمر رضي ا لله عنه لاستقراء أهل البادية . ملتزم الرَّحْل : ملتزم السرج ، قتله على ظهر فرسه ، فانكبّ على السَّرْج ، ومات .

[4] حشف النخل : رديء التمر .

رواية الأغاني

قال أبو عمرو الشيباني :

كان حُريث بن زيد الخيل شاعراً ، فبعث عمر بن الخطّاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه ، فأقبل حتى نزل بمحلّة بني نبهان ، فاستقرأ ابن عمّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن مُنْهب ، فلم يقرأ شيئاً ، فضربه ، فمات فأقامت بنته أم أوس تندبه ، وأقبل حريث بن زيد الخيل فأخبرتْه ، فأخذ الرمح ، فشَدَّ على أبي سفيان ، فطعنه فقتله ، وقتل ناساً من أصحابه (أي من أصحاب أبي سفيان) ، ثم هرب إلى الشام ، وقال في ذلك :

ألا بكَّر الناعي بأوس بن خالدٍ أخي الشَّتْوةِ الغَبْراء والزَّمَنِ المَحْلِ
فلا تجزعي يا أمَّ أوس فإنَّه يلاقي المنايا كلُّ حاف وذي نَعْل
فإن يقتلوا أوساً عزيزاً فإنَّني تركت أبا سفيان مُلْتَزِمَ الرَّحْل
ولولا الأسى ما عشتُ في الناس بعده ولكنْ إذا ما شئتُ جاوبني مِثْلِي
أصبْنا به من خيرة القوم سبعةً كراماً ولم نأكل به حشَف النَّخْل

لقد جاء نَعْي أوس بن خالد الطَّائي عند الصَّباح الباكر ، وينعت الشاعر أوساًبأنه سخيّ جواد ، ولاسيما في أيام الشّتاء العسرات ، عندما يتفشّى الجَدْب والقِلْة والفقر ، فلا نبات يظهر ، ولا شجرة تُثْمِرُ . ونَعَت الزمانَ بالمَحْل ، وكأنه أسنده إليه ، وإنَّما يكون المَحْلُ فيه ، وليس هو فاعله ولا مُحْدِثَه ، وهذا مجاز علاقته الزمانيّة .

ويتوجه إلى أمّ الفقيد طالباً إليها ألاّ تجزعَ ولا تضرَعَ ، فإنّ أوساً إذا كان قد مات ، فحُكْم المنيّةِ في البريّة جار على المقلّ والغنيّ ، والمقيم والظّاعن وزوي : " تُصيب المنايا كلَّ حافٍ وذي نَعْل " والحافي كناية عن الفقير أو المقيم في بيته ، وذي نعل كناية عن الثريّ أو الراحل .

ولقدقَتلَ أبو سفيان وصحبه أوساً [1] ولكنّ الشاعر أردى أبا سفيان ، وقتله بأوس ، واحدة برأيه بواحدة ، وترك غريمه أبا سفيان ثابتاً على سَرْج فرسه ، ميتاً فوقه .

واستعمل حريث أسلوب الشرط ، وأتى بالحال " عزيزاً " ليتبيّن أنّ أوساً مات على هيئة يُغبطُ عليها ، ويأتي بجواب الشرط جملة كبرى " فإنني تركْتُ " وجملة (تركْتُ) صغرى ، وهي خبر (إنَّ) ، ويجيء بالمفعول " أبا " وإضافته " سفيان " ، ويعقبه بحال موته " ملتزم الرحل [2] "ليقارنها بميتة أوس . وليفضّل ميتة أوس عليها .والرحل : مضاف إليه ، وهو مفعول ملتزم (بالمعنى) .

ويزعم الشاعر أنه كاد يفضي به الحزن إلى الموت ، وإنما أمسكه التعزّي بأمثالِهِ ممّن فُجعوا بذويهم ، وأصيبوا بأعزّائهم ، وزاد (ما) ليؤكدّ عبارته ،وأنهّ متى أراد أنْ يلملم حوله جماعةً من الباكين على أوس وَجَدَهُمْ .

---

[1] معنى كلمة أوس : ذئب .

[2] ملتزم مفعول به ثان لفعل ترك ، ولكنّه يقوم (بالمعنى) بتصوير حال المقتول .

وأكبر عزاءٍ له أنّه قتل بأوس سبعةً من الأماجد الأعيان ، لا من الخاملين . والباء في به للبدليّة ، فبشخص فقدوه أفقدوا الطّرف الآخر سبعة ، وكنى بحشف النخل ، وهو رديئه عن الأراذل والخاملين وغير النّابهين .

وعاقب الشاعر بين الخبرين الابتدائي (أصبْنا) (ولم نأكل) والطلبي (ألا بكّر) (فإنّه يلاقي) (فإنني تركت) وبين الإنشاء المعتمد على النهي (فلا تجزعي) ، وندب أوساً ، وافتخر بالانتقام له ، وأنصف المقتولين ، فهم من خيرة الناس ، وإنْ ثبتتْ فعلتهُ هذه ، وثبتتْ الأبيات له ، كان في صنعْه على طرفي نقيض مما صنعه أيام حروب الردّة إذّ كان بطلاً من أبطال المسلمين يقف مع سيف ا لله خالد رضي ا لله عنه ليدحر قوى البغْي والردّة وضعاف الإيمان .

وإنْ كان قد حزن لوفاة أوس ابن عمه أو ابن عمّ أبيه ، فما كان له أن ينتقم على هذه الشاكلة ، فيقتل سبعة كراماً كما قال ، وذلك أنّ أبا سفيان مبعوث عمر رضي ا لله عنهما إنما أراد أنْ يعزّر [1] أوساً لتقصيره في قراءة القرآن ، وعدم حفظه وإتقانه لما فرَضه ا لله تعالى فرْضَ عين على كل مسلم ومسلمة من قرآن تقوم به أركان الصلاة ، وآساس الدين . ولا تبلغ

[1] تنقسم العقوبة في الإسلام إلى عقوبات كبرى ، وهي الحدود المعروفة ، كحد القتل وحدّ السرقة وحدّ القذف ...وهي سبعة حدود . وإلى عقوبات أخفّ منها ، كالضرب أو التوبيخ أو السجن ، وتسمى تعزيرا .

عقوبة التعزيز في الإسلام مبلغ الحدود ، ولا تصل إلى حدّ القتل ، لدى جمهور الأصوليين ، والذين استثنوا من هذه القاعدة فإنهم استثنوا حالات لاتنطبق على أوس ، وبعبارة أخرى لم يكن أبو سفيان ليريد قتل أوس ، إنَّما أراد تعزيره بالضَّرْب ، فوافق ذلك أجله ، فوافاه وقت الضَّرْب ، فمات .

عروة بن زيد الخير

كان لحريث أخ اسمه عروة بن زيد الخيل ، وكان شاعراً فارساً ، فشهد القادسية [1] ، وحسُنَ بلاؤه فيها ، وقال في ذلك يذكر حسن بلائه :

برزتُ لأهل القادسية معلماً ... وماكلُّ مَنْ يغشىالكريهة يُعْلم [2]
يوم بأكناف النُّخيْلة قبلها ... شهدتُ فلم أبرحْ أدمِّي وأكْلمْ [3]
وأقعصْتُ منهم فارساً بعد فارسٍ ... وما كلُّ من يلقى الفوارس يسلمُ [4]
ونجَّانيَ الله الأجلُّ وجيرتي ... وسيف لأطراف المرازب مِخْذَمْ [5]

---

[1] القادسية : بلدة في العراق جرت عندها سنة ١٦هـ معركة فاصلة بين المسلمين والفرس ، فغلبهم المسلمون ودخلوا على إثرها عاصمتهم المدائن .

[2] معْلم : واضع لنفسه علامة خاصة بالأبطال .

[3] أكناف : نواحٍ ، أطراف .النخيلة : موضع .لم أبرح : لم أزل .أدمّي : أجرح الفرسان وأقتلهم .

[4] وأقعصت : أقعص الفارس : قتله مكانه وأجهز عليه .

[5] المرازب : جمع مرزبان ، وهو الرئيس من الفرس .مخذم : قاطع .

وأيقنتُ يوم الدَّيْلَمِيِّيْنَ أنّنــــي متىينصرفْ وجهي عن القوم يُهْزَمُوا [١]
فما رُمْتُ حتى مزَّقوا برماحهــم ثـيــابي وحـتــى بـــلَّ أخمصي الدمُ[٢]
محافظةً إني امرؤ ذو حفيظـــةٍ إذا لـــم أجِدْ مـسـتــأخـــراً أتــقدَّمِ[٣]

قال : وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صفّين ، وعاش إلى إمارة معاوية[٤] ..

فعروة قد لبس شارة الفروسية ، واتخذ لنفسه علامة الفارس البطل الصنديد ، وليس كل الذين يخوضون المعارك يفعلون ذلك ، وأحْسَنَ إذ ذكر كلمة " معلماً " ، في عروضه ، ثم أعادها في ضرْبه ، فردّ العجز على الصَّدْر ، أراح الأذن بوقعها بهذا الذكر .

ويتحدث عن شهوده يوم أكناف النُّخَيْلة ، إذ أبلى بلاء الأبطال ، وكثرت يومئذ منه ومن خصومه الدماء ، وأنصف عروة ها هنا نفسه وعدوّه وطابق بين أدَمِّي وأكلمْ .

---

[١] الديلم : عرق من الأعراق الذين كانوا يتبعون الفرس .ثم أسلموا بعد ذلك .

[٢] رمت : برحتُ . الأخمص : أسفل باطن القدم .

[٣] حفيظة : غضب .يغضب ليحمي عرْضه .

[٤] الأغاني (الهيئة المصرية) ٢٥٨/١٧

ولقد توالى قتله يومذاك لفرسان الأعداء ، موردًا إياهم حتوفَهم ، واحداً إثرَ الآخر ، ويذيل هذا الخبر الافتخاري بحكْمة عمليّة ، وهي .

أن فناء الأرواح ، وإثخان الجراح من معهودات الحرب المألوفة ، على أنّ الله عزّ وجلّ قد كتب له في هذه المعركة النّجاة ، وكان يحفّ به من قومه فرسان ميامين ، وكان في يمينه عضب بتّار كان يهوي على رؤوس القادة الفرس ، وأيديهم ، وأرجلهم ، فيفصمها ، وكان الشطر الثاني في الأصل على هذه الشاكلة (وسيف مخذم لأطراف المرازب) فقدّم شبه الجملة ، وما أضيف إليه لضرورة الشعر ، وبقي تعليق الجارّ بـ" مخْذم " .

وأحياناً يقدم بعض متعلقات الفعل على بعض ، كما في قوله :

وأيقنتْ يوم الدَّيْلميِّيْنَ أنَّني متى ينصرم وجهي عن القوم يهزموا

والتقدير : وأيقنت بأنني ..وهو بمثابة مفعول للإيقان ، لتعدّيه إليه بالجارّ ، وعلاقته به أشدُّ من علاقته بالظَّرْف (يوم) ، وقدّم هذا لتبيان أهمية ذلك اليوم .

لقد كان واثقاً من أنّه متى هاجم الديلميّين هزمهم ، فتكون (عن) بمعنى بعْد ، كما في قوله تعالى (عما قليل ليصبحنّ نادمين) أي بعد قليل. فيريد عروة أنه متى تعقب الديلميين انهزموا .

ويشمل البيت معنى آخر ، وهو أنّه متى يترك السرية التي يحارب فيها انهزمت ، فيشير إلى مكانته القتالية . والمعنى الأول أقوى .

وعروة بارعٌ في نظم كلامه ، وبيته السالف :

وأيقنتُ يوم الدَّيلْميّين أنّني متى ينصرف وجهي عن القوم يهزموا

لا يعدو أن يكون مسنداً ومسنداًإليه (أيقنت) وظرفاً وما أضيف إليه ومتعدي أيقنت (أنني ..) والشطر الثاني كلّه في محل رفع خبر أنَّ (جملتا الشرط والجواب في محلّ رفع خبر أنّ) .

وما زال عروة يرمي الأعداء ، ويجدهم ، ويمطرونه بوابل قذائفهم حتى تسربل بالدم ، ومّزقوا ثيابه أي ما يحل تحتها ، ولم يقل إن جراحاته الكثيرة غشَّتهُ بالدماء ، وإنما قال " بلّ أخمصي الدمْ " وهو تعبير بجزء الشيء عن كلّه ، وكناية عن أن الدماء تخطّت مواضع الكلوم ، ووصلت إلى أسفل القدمين ، فهي دماء غزيرة :وفي قوله :

فما رمْتُ حتى مزّقوا برماحهم ثيابي ، وحتى بلّ أخمصي الدَّمْ

تنسيقٌ بديع ، فهو ينفي برَاحَة من المعركة ، وتوليه يوم الزَّحْف ، ويأتي بـ (حتى) ليبين انتهاء الغاية ونهاية المصابرة ، وهي استكثار الجراح فيه واخضلاله بالدماء ، وينهي أبياته بتعليل مصابرته ، فهو يصابر ليحافظ على عِرْضه ، ومن أجل ذلك يحرص باستمرار على أن يكون في الطليعة .

وكانت القادسية ، كاليرموك ، ذكرى باقية عند المسلمين وفي معركة القادسية اندحر الصَّلَف الفارسي المجوسيّ ، وخمدت نارهم التي ظنوا أنها مانعتهم من ا لله ، بعد أنْ تحمس زعيمهم يزدجرد ، واغتر وأطاح بملكة إيران وكان اسمها آرز ميدخت متهماً إياها بالضعف ، وحشد قوات هائلة

وجهها إلى الثغور المواجهة للمسلمين ، وكان يريد أن يصطدم بقوات المسلمين عند تلك الثغور ، ليبيدها ، ثم يزحف بعد ذلك إلى مكة والمدينة ، فيهدمهما ، ويستأصل شأفة المسلمين من مهد دعوتهم .

فلما علم به عمر رضي الله عنه جمع جيشاً ، وأمره بالتوجه إلى الثغور العراقية ، وجعل عليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

كانت أعداد الفرس أضعاف أعداد المسلمين ، واستعملوا في حربهم الفيلة التي كانت الخيول تحاذرها وتنفر منها ، ولكن العقيدة الإسلامية الراسخة ثبتت المسلمين ، على ما قتل منهم ، ثم اهتدوا إلى أمرين ، الأول قلع أعين الفيلة ، فصارت وبالاً على الفرس ، ومبعث اضطراب في صفوفهم ، والآخر أن بضعة أبطال من المسلمين فتحوا ثغرة في جيش العدوّ المجوسي ، واستطاعوا أن ينفذوا منها إلى رستم قائد الجيش الفارسي ، وهو في وسط الجيش ، ومئات الآلاف من جنوده حوله ، وتمكن هؤلاء الفدائيون من قتله ، فهرب بعد ذلك الفرس ، ودخل سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين في القادسية مدينة المدائن عاصمة كسرى ، فجاس خلال قصورها ، والأشجار

الباسقة تحفّ بها من كل جانب ، وتملى إيوان كسرى ، فصلى ركعتين في استهلال تملكه له ، وتابع اطلاعه على ما فيه وهو يتلو :

(كم تركوا من جنات وعيون ۞ وزروع ومقام كريم ۞ ونعمة كانوا فيها فاكهين ۞ كذلك وأورثناها قوماً آخرين ۞ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين [١]) .

ترجمة عروة

عروة بن زيد الخير بن مهلهل الطائي : قائد شاعر ، من رجال الفتوح في صدر الإسلام ، أسلم ، واجتمع بالنبي صلى ا لله وعليه وسلم وعاش إلى خلافة الإمام علي رضي ا لله عنه ، وشهد معه صفين .

قال البلاذري : كتب عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه إلى عمار بن ياسر ، وهو عامله على الكوفة ، بعد شهرين من وقعة نهاوند (سنة ٢١هـ) يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري ودستبي في ثمانية آلاف ، ففعل ، وسار عروة من هناك ، فجمعت له الديلم ، وأمدهم أهل الري

[١] سورة الدخان ٢٥-٢٩.

فقاتلوه فأظهره الله عليهم واجتاحهم ، وذهب إلى عمر ، فأخبره بالفتح فسماه البشير .

قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها عروة : أنشدني قول أبيك :

بني عامر هل تعرفون إذا غدا　　　أبا مكنف قد شُدّ عَقْدُ الدوائرِ

فأنشدها الأبيات :

قالت : هل شهدتَ هذه الغزاة مع أبيك ؟

قال : نعم .

قالت:كم كنت ؟

قال : غلاماً .

ومات عروة بن زيد الخير بحدود سنة ٣٨هـ .